

ولكن أخاه عبد العزيز بن مروان يطمع أن ينالها،^{١٨} وقد أوصاه به أبوه قبل مصرعه، فما أحراره أن يحفظ وصاة أبيه في عبد العزيز ليحفظ بنوه وصاته؟ ...
فلتكن ولاية العهد إذن للوليد بن عبد الملك وعمه عبد العزيز بن مروان جميعاً.
ولكن عبد العزيز لا يلبث أن يجيء نعيه من مصر، وتنحل العقد المستعصية،
فيجعل عبد الملك عهده من بعده لولديه: الوليد، ثم سليمان، ابني ولادة العباسية.
وتتم البيعة للأميرين، ويحلف لهما بنو مروان وبنو أمية جميعاً، ثم تؤخذ لهما
البيعة من الأمصار ...

ويؤوي عبد الملك إليه أولاده ليقول لهم: «يا بني عبد الملك، أوصيكم بتقوى الله،
فإنها عصمة باقية، وجنة^{١٩} واقية، وليعطف الكبير منكم على الصغير، وليعرف الصغير
منكم حق الكبير، مع سلامة الصدور، والأخذ بجميل الأمور، وإياكم والفرقة والخلاف؛
فبهما هلك الأولون، وذلّ ذوو العزّ المعظمون، وانظروا مسلمة، فاصدروا عن رأيها؛ فإنه
بابكم الذي منه تعبرون، ومجنّكم^{٢٠} الذي به تستجنّون، وكونوا بني أمّ بررة،^{٢١} وإلا
دبت بينكم العقارب، وكونوا في الحرب أحراراً، وللمعروف مناراً ...»
ثم يُقبل على ابنه الوليد، فيقول: «لا أَلْفَيْنَكَ إذا متّ تعصر عينك وتحنّ حنين
الأمّة،^{٢٢} ولكن شمّر واثترّر، والبس جلد النمر، ودلّني في حفرتي وخلّني وشأني وعليك
شأنك، ثم ادع الناس للبيعة؛ فمن قال هكذا ... فقلّ بالسيف هكذا ...»^{٢٣}
ثم يغمض عبد الملك جفنه!

^{١٨} انظر التعليق رقم (٧) الفصل الرابع.

^{١٩} جنة: ستار واق.

^{٢٠} المجن: الترس.

^{٢١} إخوة بررة.

^{٢٢} الأمّة: الجارية.

^{٢٣} يعني: من عصى فاضربه بالسيف.